التوجه الواقعي في العلاقات الدولية.

محاضرة مقدمة لطلبة السنة الثانية العلوم السياسية.

د. آمنة عيساوة.

السنة الجامعية: 2025-2026.

تقديـــــــــم

- يعد التوجه الواقعي في نظرية العلاقات الدولية أحد أهم الرؤى النظرية التي هيمنت على تفسير الظواهر في العلاقات الدولية بالخصوص فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة، وأُطلق عليها المنظور المهيمن The Main Stream ، ولعل هذه الهيمنة تفسر بكون الواقعيين أقرب للواقع الدولي فهم يقدمون قراءة ستاتكية لا تهدف إلى تغيير الواقع بالقدر من سعيهم للتفسير والتنبؤ، وقد عرفت الواقعية عدة نسخ من أهمها: الواقعية الكلاسيكية التي تزعمها هانز مورغنثاو من خلال كتابه (السياسة بين الأمم الصراع من أجل القوة)، والواقعية الجديدة لكينيث والتز في كتابه: (نظرية السياسات الدولية).

الجذور الفكرية للنظرية الواقعية.

ثيوسديس:

- يروي الكتاب التاريخي لثيوسيديس (الحرب البيلوبونزية)، الصراع من أجل الهيمنة على بلاد الاغريق بين أكبر قوتين آنذاك وهما: أثينا واسبارطة وحلفائهما، جرت أحداث الحرب بين أعوام [431 و404 ق م]، ويعد الكتاب من أهم المؤلفات الكلاسكية لظاهرة القوة وتوازن القوى في العلاقات بين الدول عبر التاريخ.

- من أهم الإشكالات التي تطرق لها ثيوسديس من خلال تأريخه للحرب البلوبونزية هي تفسير ظاهرة القوة في العلاقات الدولية في مواجهة العدالة، حيث أكد على أن: " الأقوياء يفعلون مايمكنهم فعله، والضعفاء يتحملون ما استطاعوا أن يتحملوه".
- كما عارض ظاهرة القوى التي تسعى إلى الهيمنة والغطرسة حال أثينا، واعتبر ذلك بداية نهاية قوتها.

نيكولا ميكيافللي (1469-1527):

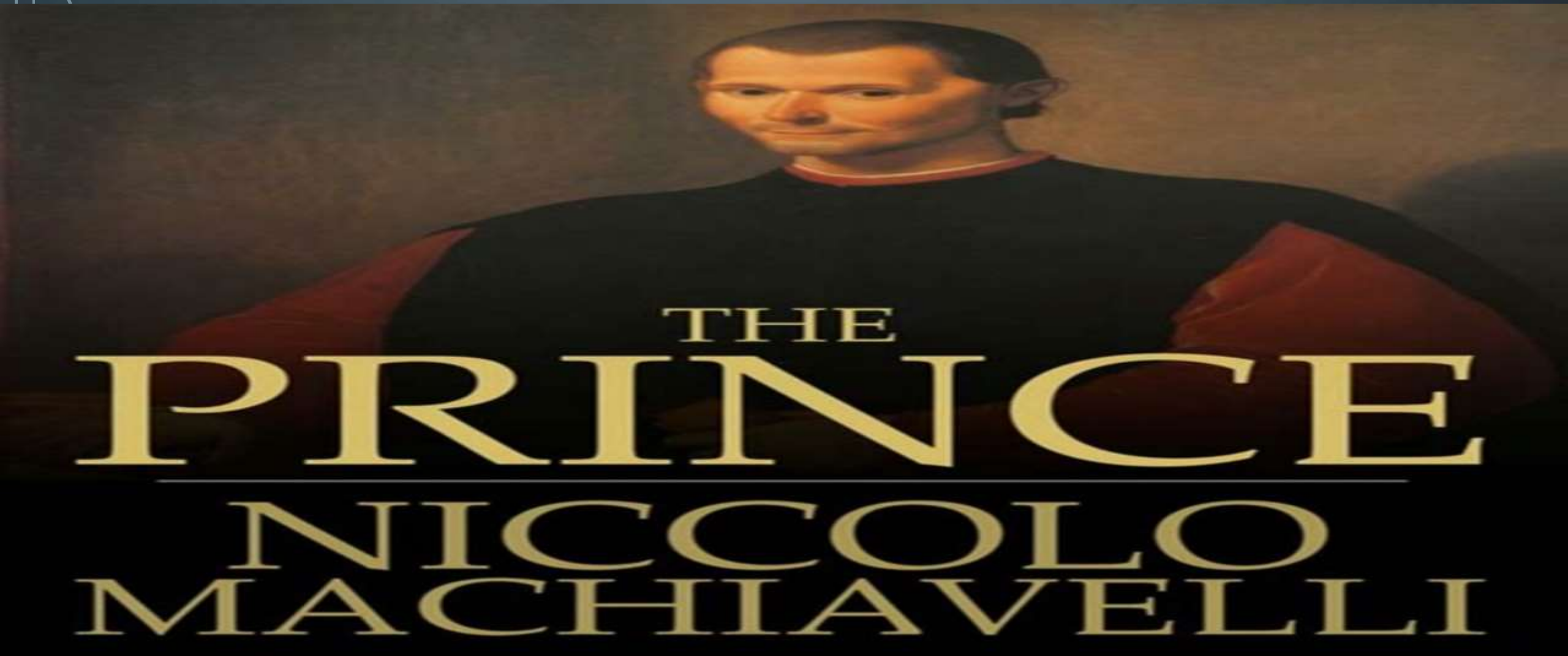

- نيكولا ميكيافللي المفكر الغربي الأول الذي جعل الصراع محورا للحياة السياسة مع مطلع القرن السادس عشر ميلادي.
- انطلقت أفكاره من رؤية مركزية للطبيعة البشرية التي عدها طبيعة أنانية، ويعتقد أنّ هناك دافعان أساسيان يحددان الحركة السياسية في المجتمع ويُشكلان الصراع وهما:
  - ✓الرغبة في تحقيق الأمن من قبل الشعوب.
  - ✓الرغبة في الاستحواذ على القوة من قبل الحكام.

- انطلق مكيافللي من نظرة تفسر علاقة الأفراد فيما بينهم ومن ثم فيما بينهم والحاكم، ثم علاقة الدول فيما بينها، وفسرها جميعا بخضوعها لمنطق القوة، فلكي يسود الحكم ويستمر الحاكم في منصبه فلا بد أن يملك القوة وعليه في علاقاته الخارجية أن يستعد دائما للحرب حتى ولو في زمن السلم.

توماس هوبز (1588-1679).

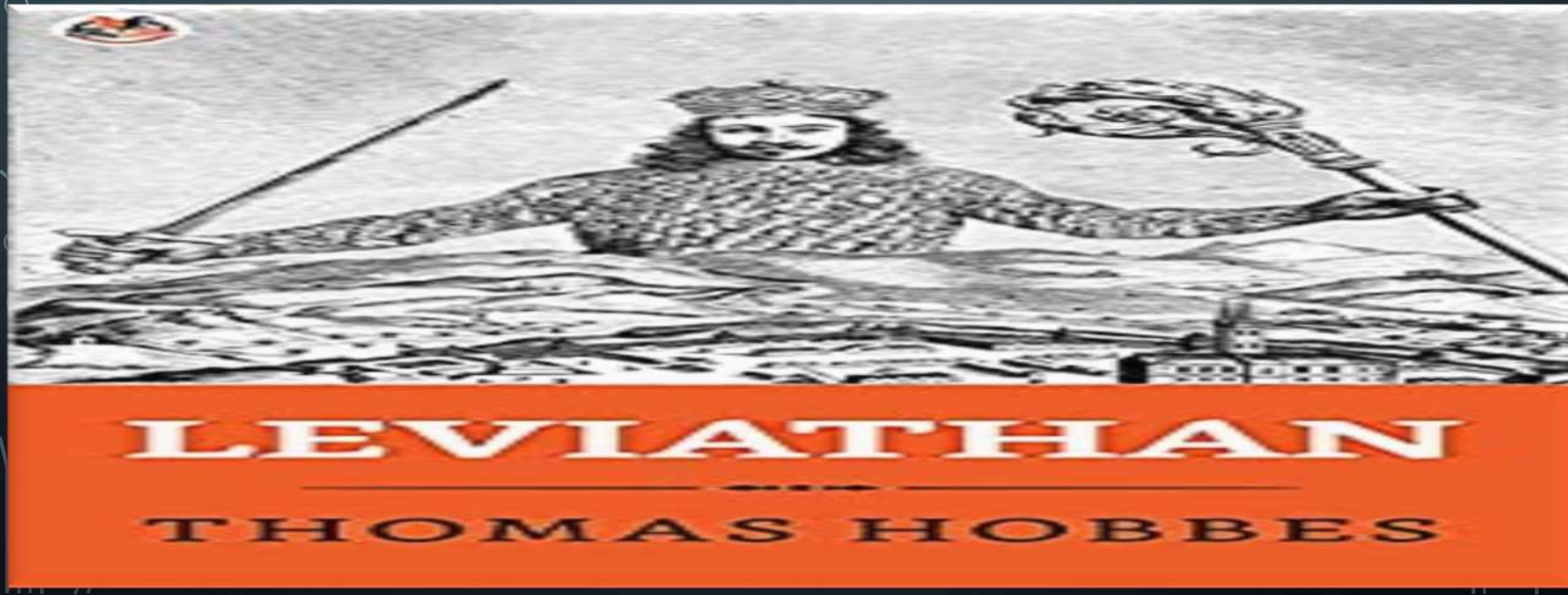

فوضى حالة الطبيعة... فوضى العلاقات الدولية.

- كان توماس هوبز منظرا سياسيا انجليزيا يكتب أيام الحرب الأهلية الانجليزية، عمله الضخم التنين الذي تم نشره عام 1651. حمل في طياته تفسيرا لسلوكات البشر في ظل غياب السلطة السياسية، هذه الحالة الفوضوية هي التي يكون فيها البشر جميعا متساووين من حيث القوة، بمعنى أن لكل شخص الفرصة في أن يحصل على ما يرغب على حساب الآخرين، أما مفهومات الصح والخطأ والعدالة والظلم فلا مكان لها في حالة الطبيعية لأنها تتطلب سلطة وقوة ذات سيادة لتحقيقها، في هذه الحالة فإن حالة الطبيعية مليئة بالخوف والرغبة في البقاء، أين يتجه الأفراد إلى التصرف بأنانية.

- بالنسبة لهوبز حل مشكلة انعدام الأمن في حالة الطبيعة يكون عن طريق الخضوع لسلطة قوية ذات سيادة، إلا أنّ هذا الخيار ليس متوفرا في العلاقات الدولية. نتيجة لذلك تعد الفوضى صفة أساسية للنظام الدولي، والتي تدفع الدول للاعتماد على ذاتها للحفاظ على بقاءها.

الافتراضات الأساسية للواقعية الكلاسكية

- السياسة الدولية ليست إلا صراعا من أجل القوة، فهي هدفها الآني والفوري، والقوة تعني سيطرة الانسان على الآخرين وأفعالهم.
- ميزان القوة هو سياسة الحفاظ على الوضع القائم والمقصود الوضع القائم قبل الحرب، ولذلك تفترض أغلب معاهدات الصلح انسحاب الأطراف إلى حدود ما قبل الحرب لاعادة الوضع لما كان عليه.
- المصلحة القومية لا تعني عند الكلاسكيين سوى السعي لامتلاك القوة وزيادتها، فالقوة وسيلة وهدف.
- الدولة هي الفاعل الوحيد والموحد، وهي منطلق تحليل كل الظواهر في السياسات الدولية، فالفواعل الأخرى ماهي إلا امتداد واستمرارية لسياسات الدول بطريقة أو أخرى.

الافتراضات للواقعية الجديدة:

KENNETH WALTZ(1924-2013).

- النظام الدولي **نظام فوضوي**، وذلك بسبب غياب سلطة عليا فوق سلطة الدول، فالسيادة لا تسمح بذلك.
- الدولة هي **الفاعل المركزي والعقلاني** في السياسات الدولية، وهي تسعى للحفاظ على **بقائها**.

- إن الدول **لا تثق** في بعضها البعض، ولا يمكن لإحداها أن تعرف نيات الدول الأخرى اتجاهها، مما يؤدي إلى **اعتمادها على ذاتها Self Help** لتحقيق أمنها.

نتائج المحاضرة:

- تعود الجذور الفكرية للنظرية الواقعية إلى التراث الفكري القديم جدا الذي يضرب بعروقه إلى التفكير اليوناني وحتى الهندي القديم(كوتليا مثالا).
- يقدم الواقعيون العلاقات الدولية على أنها علاقات صراعية ولا طائل من تغييرها، بل لا بد من اكتشاف السياسات العقلانية للتعامل مع هذا الوضع القائم.
- القوة هي الأداة الأساسية لتحقيق المصالح القومية العليا للدول ومنها زيادة القوة والحفاظ على البقاء.
- الدول هي الفاعل الأساسي الذي يحرك كافة السياسات الدولية.